الرسائل الميسرة

26/100

الهداية إلى

الصراط المستقيم

من رسائل شيخ الإسلام

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية

المتوفى سنة 728هـ - رحمه الله

اعتنى بإخراجها وتخريجها

أبو عبدالعزيز

إبراهيم بن سلطان العريفان

إجازة المطبوعة

السلام عليكم ورحمة االله وبركاته

تم تسجيل هذه المادة لصالح المؤلف/المعد أدناه بعد التعهد بالالتزام بجميع الشروط و الاحكام الخاصة بمحتوى المادة

اسم المادة	الهداية إلى الصراط المستقيم لابن تيمية
نوع المادة	كتاب إلكتروني
المحقق	إبراهيم بن سلطان العريفان
المترجمون	
المعدون	
المؤلفون	• إبراهيم سلطان العريفان
رقم الطبعة	1
اسم الناشر باللغة العربية	إبراهيم سلطان العريفان
اسم الناشر باللغة الإنجليزية	IBRAHEEM SULTAN ALURIFAN
رقم التسجيل	202503023729193
تاريخ التسجيل	2025-03-02

Tel: + 966 11 8134444 هاتف
Fax: + 966 11 8134400 فاكس
P.O.Box 75222 صندوق بريد
Riyadh 11578 رمز بريدي
المملكة العربية السعودية
Kingdom of Saudi Arabia

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ خَيْرِ الْأَنَامِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا أَفْضَلَ الرُّسُلِ الْكِرَامِ، وَجَعَلَنَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، طَرِيقِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

أَمَّا بَعْدُ..

فَهَذِهِ الرِّسَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ ضِمْنَ الرَّسَائِلِ الْمِئِيَّةِ[1] مِنْ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، عَنْ كَيْفِيَّةِ وَوَسَائِلِ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

فَالْهِدَايَةُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هِيَ جَوْهَرُ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَسَاسُ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، هِيَ النُّورُ الَّذِي يُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَالدَّلِيلُ الَّذِي يُرْشِدُ الْعَبْدَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ مَنْهَجِهِ الْقَوِيمِ.

وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى طَلَبَ الْهِدَايَةِ أَعْظَمَ دُعَاءٍ يَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنَ الصَّلَاةِ، فِي قَوْلِهِ ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة (٧) تَأْكِيدًا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ الْمُسْتَمِرَّةِ إِلَى التَّوْفِيقِ وَالتَّثْبِيتِ عَلَى الْحَقِّ.

وَالسَّيْرُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ يَتَطَلَّبُ يَقَظَةَ الْقَلْبِ، وَتَزْكِيَةَ النَّفْسِ، وَمُجَاهَدَةَ الْهَوَى، وَالْبُعْدَ عَنْ مَسَالِكِ الْغِوَايَةِ وَالِانْحِرَافِ، سَوَاءً بِالْوُقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ

---

(١) اسْتَعَنْتُ بِاللَّهِ فِي الْبَدْءِ لِلْعِنَايَةِ بِرَسَائِلِ وَفَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهَدَفِي أَنْ أَصِلَ إِلَى مِائَةِ رِسَالَةٍ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ.

الَّتِي تُفْسِدُ الْعَقِيدَةَ، أَوِ اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي تُفْسِدُ السُّلُوكَ. فَمَنْ سَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ، كَانَ فِي مَعِيَّتِهِ، وَسَيَنَالُ السَّعَادَةَ وَالْفَلَاحَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ حَادَ عَنْهُ ضَلَّ وَتَاهَ فِي ظُلُمَاتِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ.

لِذَا سَطَّرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي رِسَالَتِهِ عَنْ طُرُقِ الثَّبَاتِ وَالْهِدَايَةِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، مُحَذِّرًا مِنْ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ.

وَقَدِ اجْتَهَدْتُ فِي الْعِنَايَةِ عَلَى إِخْرَاجِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَتَخْرِيجِهَا، وَبَيَانِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانِهِ، مُعْتَمِدًا بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ وَغَيْرِهَا، وَأَنْ يَجْزِيَ كُلَّ مَنْ قَرَأَ وَأَفَادَ وَاسْتَفَادَ، وَكُلَّ مَنْ تَوَاصَلَ مَعِي بِإِبْدَاءِ رَأْيٍ أَوِ اقْتِرَاحٍ أَوْ تَنْبِيهٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إبراهيم بن سلطان العريفان

٠٥٦٥٦٥٤٣٢١

المنطقة الشرقية – محافظة الخبر

يوم الأحد٢/٩/١٤٤٦هـ

تَمْهِيدٌ إِلَى الرِّسَالَةِ

رِسَالَةُ "الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ" لِابْنِ تَيْمِيَّةَ تَتَنَاوَلُ تَفْسِيرَ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَتُوَضِّحُ مَعَانِيَهَا وَأَهَمِّيَّتَهَا فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ.

إِلَيْكَ مُلَخَّصٌ لِأَبْرَزِ النِّقَاطِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي رِسَالَتِهِ:

- **الْحَاجَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ لِلْهِدَايَةِ:**

يُؤَكِّدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَلَى أَنَّ حَاجَةَ الْعَبْدِ إِلَى الْهِدَايَةِ هِيَ حَاجَةٌ دَائِمَةٌ وَمُسْتَمِرَّةٌ، وَلَيْسَتْ مُقْتَصِرَةً عَلَى فَتْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ. فَالْعَبْدُ يَحْتَاجُ إِلَى الْهِدَايَةِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي أُمُورِ الدِّينِ أَوِ الدُّنْيَا.

- **الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الْإِسْلَامُ:**

يُبَيِّنُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَهُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي يُوَصِّلُ إِلَى رِضَا اللَّهِ وَجَنَّتِهِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ. وَيُشَدِّدُ عَلَى أَنَّ اتِّبَاعَ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِلثَّبَاتِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

- **التَّحْذِيرُ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ:**

يُحَذِّرُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنْ اتِّبَاعِ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. وَيُوَضِّحُ أَنَّ طَرِيقَهُمْ هُوَ طَرِيقُ الِانْحِرَافِ عَنِ الْحَقِّ وَالضَّلَالِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى غَضَبِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ. وَيَشْرَحُ أَنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ

هُمْ مَنْ عَرَفُوا الْحَقَّ وَرَفَضُوهُ، أَمَّا الضَّالُّونَ فَهُمُ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ عَلَى جَهْلٍ.

- **أَهَمِّيَّةُ الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:**

يُؤَكِّدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَلَى أَهَمِّيَّةِ الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمَا الْمَصْدَرَانِ الرَّئِيسِيَّانِ لِلْهِدَايَةِ. وَيُوَضِّحُ أَنَّ الِاعْتِصَامَ بِهِمَا هُوَ الضَّمَانُ الْوَحِيدُ لِلثَّبَاتِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الضَّلَالِ وَالِانْحِرَافِ. وَيَشْرَحُ أَنَّ الْعَوْدَةَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَكُونُ بِالتَّمَسُّكِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ وَصَحَابَتُهُ الْكِرَامُ.

- **الدُّعَاءُ بِالْهِدَايَةِ فِي الصَّلَاةِ:**

يُشِيرُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لَنَا أَنْ نَدْعُوَهُ بِالْهِدَايَةِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، وَذَلِكَ لِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الدُّعَاءِ. وَيُوَضِّحُ أَنَّ تَكْرَارَ هَذَا الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ هُوَ تَذْكِيرٌ دَائِمٌ لِلْعَبْدِ بِحَاجَتِهِ إِلَى الْهِدَايَةِ، وَتَجْدِيدٌ لِعَهْدِهِ مَعَ اللَّهِ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

بِاخْتِصَارٍ: هَذِهِ الرِّسَالَةُ هِيَ شَرْحٌ مُفَصَّلٌ لِلْآيَةِ الْعَظِيمَةِ، وَتَوْضِيحٌ لِأَهَمِّيَّةِ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ – رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]:

فَصْلٌ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة (٦-٧) وَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ"[٣] وَكِتَابُ اللَّهِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ، مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ المائدة (٦٠) وَقَوْلِهِ ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ البقرة (٩٠) وَقَوْلِهِ ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ آل عمران (١١٢) وَقَالَ فِي النَّصَارَى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة (٧٧) وَقَالَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ النساء (١٧١) وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ *

---

(٢) مجموع الفتاوى (١/٦٤-٨٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٩٣٨١) والترمذي (٢٩٥٣) مطولاً من حديث عدي بن حاتم ﷺ. وذكره الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠٢).

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة (٣٠-٣١)

وَقَالَ تَعَالَى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران (٧٩-٨٠) وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ الإسراء (٥٦-٥٧).

وَلَمَّا أَمَرَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ :أَنْ نَسْأَلَهُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، الْمُغَايِرِينَ لِلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلِلضَّالِّينَ، كَانَ ذَلِكَ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْعَبْدَ يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْحَرِفَ إِلَى هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: "لَتَسْلُكُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ؛ لَدَخَلْتُمُوهُ" قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ!"(٤) وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

---

(٤) رواه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢-٢٦٦٩) بلفظ "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا

وَكَانَ السَّلَفُ يَرَوْنَ أَنَّ مَنْ انْحَرَفَ مِنْ الْعُلَمَاءِ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ الْيَهُودِ، وَمَنْ انْحَرَفَ مِنْ الْعُبَّادِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ النَّصَارَى، كَمَا يُرَى فِي أَحْوَالِ مُنْحَرِفَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَالْبُخْلِ بِالْعِلْمِ، وَالْكِبْرِ، وَأَمْرِ النَّاسِ بِالْبِرِّ وَنِسْيَانِ أَنْفُسِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَكَمَا يُرَى فِي مُنْحَرِفَةِ أَهْلِ الْعِبَادَةِ وَالْأَحْوَالِ مِنْ الْغُلُوِّ فِي الْأَنْبِيَاءِ الصَّالِحِينَ، وَالِابْتِدَاعِ فِي الْعِبَادَاتِ، وَالرَّهْبَانِيَّةِ(٥) وَالصُّوَرِ وَالْأَصْوَاتِ. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**"(٦) وَلِهَذَا حَقَّقَ اللَّهُ لَهُ نَعْتَ الْعُبُودِيَّةِ فِي أَرْفَعِ مَقَامَاتِهِ، حَيْثُ قَالَ ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا**﴾ الإسراء (١) وَقَالَ تَعَالَى ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ النجم (١٠) وَقَالَ تَعَالَى ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾ الجن (١٩) وَلِهَذَا يُشْرَعُ فِي التَّشَهُّدِ، وَفِي سَائِرِ

بِذِرَاعٍ ..." عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٥) الرَّهْبانيَّةُ: الغُلُوُّ في التَّعبُّدِ، بالانفِرادِ في الجِبالِ، والانقِطاعِ عن النَّاسِ في الصَّوامِعِ، ورَفْضِ النِّساءِ، وتَرْكِ الدُّنيا، وهي اسمٌ مَبنيٌّ مِنَ «الرَّهبةِ» بمعنى الخَوفِ، وأصلُ (رهب): يدُلُّ على الخَوفِ.

انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٥٤) ومقاييس اللغة لابن فارس (٤٤٧/٢) وتفسير ابن جزي (٣٤٩/٢).

(٦) رواه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر ﷺ.

قال ابن حجر في الفتح (٤٩٠/٦): قَوْلُهُ "**لَا تُطْرُونِي**" بِضَمِّ أَوَّلِهِ، وَالْإِطْرَاءُ الْمَدْحُ بِالْبَاطِلِ، تَقُولُ: أَطْرَيْتُ فُلَانًا، مَدَحْتُهُ فَأَفْرَطْتُ فِي مَدْحِهِ. قَوْلُهُ "**كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**" أَيْ فِي دَعْوَاهُمْ فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

الْخُطَبِ الْمَشْرُوعَةِ، كَخُطَبِ الْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ، وَخُطَبِ الْحَاجَاتِ عِنْدَ النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ، أَنْ نَقُولَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَقِّقُ عُبُودِيَّتَهُ لِئَلَّا تَقَعَ الْأُمَّةُ فِيمَا وَقَعَتْ فِيهِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ، مِنْ دَعْوَى الْأُلُوهِيَّةِ، حَتَّى قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. فَقَالَ: "**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**"(٧) وَقَالَ أَيْضًا لِأَصْحَابِهِ: "**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، بَلْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ؛ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**"(٨) وَقَالَ: "**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**"(٩) وَقَالَ: "**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**"(١٠) وَقَالَ: "**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**"(١١).

وَالْغُلُوُّ فِي الْأُمَّةِ وَقَعَ فِي طَائِفَتَيْنِ:

---

(٧) رواه الإمام أحمد (١٨٣٩) عن ابن عباس ﷺ. وفي سنن ابن ماجه (٢١١٧) بلفظ "**إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ؛ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ**".

(٨) رواه الإمام أحمد (٢٣٣٣٩) وابن ماجه (٢١١٨) مطولاً. عن حذيفة ﷺ. وفي رواية عند أحمد (٢٣٢٦٥) وأبي داود (٤٩٨٠): "**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**".

(٩) رواه الإمام أحمد (٨٨٠٤) وأبو داود (٢٠٤٢) عن أبي هريرة ﷺ. حسَّن إسناده محققو المسند.

(١٠) رواه الإمام مالك في الموطأ - رواية يحيى - (٨٥) مرسلاً عن عطاء بن يسار. والإمام أحمد بنحوه (٧٣٥٨) متصلاً عن أبي هريرة ﷺ. وصححه الألباني في غاية المرام (١٢٦).

(١١) رواه مسلم (٢٣-٥٣٢) عن جندب ﷺ.

طَائِفَةٍ مِنْ ضُلَّالِ الشِّيعَةِ، الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأُلُوهِيَّةَ.

وَطَائِفَةٍ مِنْ جُهَّالِ الْمُتَصَوِّفَةِ، يَعْتَقِدُونَ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

فَمَنْ تَوَهَّمَ فِي نَبِيِّنَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ شَيْئًا مِنْ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جِنْسِ النَّصَارَى. وَإِنَّمَا حُقُوقُ الْأَنْبِيَاءِ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَنْهُمْ. قَالَ تَعَالَى فِي خِطَابِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ المائدة (١٢) وَالتَّعْزِيرُ: النَّصْرُ وَالتَّوْقِيرُ وَالتَّأْيِيدُ[١٢]. وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ فَهَذَا فِي حَقِّ الرَّسُولِ، ثُمَّ قَالَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الفتح (٨-٩) وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف (١٥٦-

---

(١٢) انظر: تفسير ابن جرير (٨/٢٤٤) وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٤١) وغريب القرآن للسجستاني (ص: ٣٣٢) ومقاييس اللغة لابن فارس (٤/٣١١)

(١٥٧) وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران (٣١) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران (٣٢) وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب (٥٦) وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ التوبة (٢٤).

وَذَكَرَ طَاعَةَ الرَّسُولِ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ الْقُرْآنِ، وَقَالَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال (٢٤) وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء (٦٥) وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور (٦٣) وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ النور (٥١-٥٢) فَجَعَلَ الطَّاعَةَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، وَجَعَلَ الْخَشْيَةَ وَالتَّقْوَى لِلَّهِ وَحْدَهُ. كَمَا قَالَ ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ النحل (٥١) وَقَالَ ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ البقرة (٤١) وَقَالَ ﴿فَلَا

تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ المائدة (٤٤) وَقَالَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح (١٠) وَقَالَ تَعَالَى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ النور (٦٣) وَقَالَ تَعَالَى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب (٦) وَقَالَ ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ، مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" وَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ: "لَا يَا عُمَرُ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ" فَقَالَ: فَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. قَالَ: "الْآنَ يَا عُمَرُ"(١٣).

فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ حُقُوقَ الرَّسُولِ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ وَمَحَبَّتِهِ وَتَعْزِيرِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَنَصْرِهِ وَتَحْكِيمِهِ، وَالرِّضَى بِحُكْمِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ، وَاتِّبَاعِهِ، وَالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ، وَرَدِّ مَا يُتَنَازَعُ فِيهِ إِلَيْهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ.

وَأَخْبَرَ أَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَتُهُ، فَقَالَ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء (٨٠) وَمُبَايَعَتَهُ مُبَايَعَتُهُ، فَقَالَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ الفتح (١٠) وَقَرَنَ بَيْنَ اسْمِهِ وَاسْمِهِ فِي الْمَحَبَّةِ، فَقَالَ ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ التوبة (٢٤) وَفِي الْأَذَى، فَقَالَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الأحزاب (٥٧) وَفِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، فَقَالَ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ النساء (٦٩) ﴿وَمَنْ يَعْصِ

---

(١٣) رواه البخاري (٦٦٣٢) عن عبدالله بن هشام ﷺ. وروى أوله الإمام مسلم (٧٠-٤٤) عن أنس ﷺ.

اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الجن (٢٣) وَفِي الرِّضَا، فَقَالَ ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ التوبة (٦٢) فَهَذَا وَنَحْوُهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي.

فَأَمَّا الْعِبَادَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ فَلِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ النساء (٣٦) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة (٥) ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ البينة (٥) وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي مَوَاضِعَ، كَقَوْلِهِ ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ هود (١٢٣) وَقَوْلِهِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ الفرقان (٥٨) وَقَوْلِهِ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود (٨٨).

وَكَذَلِكَ التَّوَكُّلُ، كَمَا قَالَ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إبراهيم (١٢) وَقَالَ ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الزمر (٣٨) وَقَالَ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران (١٧٣).

وَالدُّعَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، سَوَاءٌ كَانَ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ أَوْ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ الجن (١٨-٢٠) وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ غافر (١٤) وَقَالَ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ الشعراء (٢١٣) وَقَالَ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الأنعام (٥٢).

وَذَمَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَغَيْرَهُمْ، فَقَالَ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ الإسراء (٥٦) رُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: **أَنَّ قَوْمًا كَانُوا يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالْمَسِيحَ وَعُزَيْرًا، فَقَالَ اللَّهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ؛ يَخَافُونَ اللَّهَ وَيَرْجُونَهُ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ، كَمَا تَخَافُونَهُ أَنْتُمْ وَتَرْجُونَهُ، وَتَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ**[١٤]. وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الإسراء (٦٧) وَقَالَ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ النمل (٦٢) وَقَالَ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الفرقان (٦٨).

وَتَوْحِيدُ اللَّهِ وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَاسْتِعَانَتِهِ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ جِدًّا، بَلْ هُوَ قُطْبُ الْإِيمَانِ، وَأَوَّلُ الْإِسْلَامِ وَآخِرُهُ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**أُمِرْتُ أَنْ**

---

(١٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٨٨). وذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس ﷺ (١٧/٤٧١).

أُقَاتِلَ النَّاسَ؛ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ"[١٥] وَقَالَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً؛ لَا يَقُولُهَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَحَدٌ، إِلَّا وَجَدَ رُوحُهُ لَهَا رَوْحًا"[١٦] وَقَالَ: "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"[١٧].

وَهُوَ قَلْبُ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ، وَسَائِرُ الْأَعْمَالِ كَالْجَوَارِحِ لَهُ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى. فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا؛ أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا؛ فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[١٨] فَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ النِّيَّةَ عَمَلُ الْقَلْبِ، وَهِيَ أَصْلُ الْعَمَلِ.

وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ، وَعِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ هُوَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَلِهَذَا أَنْكَرْنَا عَلَى الشَّيْخِ يَحْيَى الصَّرْصَرِيِّ[١٩] مَا يَقُولُهُ فِي قَصَائِدِهِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ

---

(١٥) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٣٦-٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(١٦) رواه الإمام أحمد (١٨٧) وابن ماجه (٣٧٩٥) عن عمر بن الخطاب ﷺ. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(١٧) رواه الإمام أحمد (٢٢٠٣٤) وأبو داود (٣١١٦) عن معاذ بن جبل ﷺ. وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(١٨) رواه البخاري (٥٤) ومسلم (١٥٥-١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(١٩) يحيى بنُ يوسفَ، الصَّرصريُّ، أبو زكريا، الحنبلي، شاعر من أهل صرصر، سكن بغداد، وكان ضريراً، مولده سنة ٥٨٨هـ. قتله التتار سنة ٦٥٦هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٦٢). والبداية النهاية (١٣/٢١١).

الِاسْتِغَاثَةِ بِهِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: بِك أَسْتَغِيثُ وَأَسْتَعِينُ وَأَسْتَنْجِدُ(٢٠). وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ؛ مِنْ اسْتِنْجَادِ الصَّالِحِينَ، والمتشبهين بِهِمْ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، فَإِنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ فِي مَجَالِسَ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ، وَبَيَّنْتُ لِلنَّاسِ التَّوْحِيدَ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَامُّ؛ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ جَمِيعَ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل (٣٦) وَقَالَ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء (٢٥) وَقَالَ ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الزخرف (٤٥) وَقَالَ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ المؤمنون (٥٢) وَقَالَ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ الشوري (١٣) وَقَالَ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات (٥٦) وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: "يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

---

(٢٠) انظر: ديوان البوصيري (ص: ٢٤١).

أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ"[٢١] وَقَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"[٢٢].

وَيَدْخُلُ فِي الْعِبَادَةِ الْخَشْيَةُ وَالْإِنَابَةُ وَالْإِسْلَامُ وَالتَّوْبَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ الأحزاب (٣٩) وَقَالَ ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ المائدة (٤٤) وَقَالَ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ التوبة (١٨) وَقَالَ الْخَلِيلُ ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام (٨٠-٨٢) وَقَالَ ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ التوبة (١٣) ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ البقرة (٤١) وَقَالَ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾ النور (٥٢) وَقَالَ نُوحٌ ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ نوح (٣) فَجَعَلَ الْعِبَادَةَ وَالتَّقْوَى لِلَّهِ، وَجَعَلَ لَهُ أَنْ يُطَاعَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ النساء (٦٤) وَكَذَلِكَ قَالَتْ الرُّسُلُ مِثْلُ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ

---

(٢١) رواه البخاري (٥٩٦٧) ومسلم (٥٠-٣٠).

(٢٢) رواه الإمام أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦). قال محققو المسند: إسناده قوي.

وَشُعَيْبٍ وَلُوطٍ وَغَيْرِهِمْ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ الشعراء (١٥٠) فَجَعَلُوا التَّقْوَى لِلَّهِ، وَجَعَلُوا لَهُمْ أَنْ يُطَاعُوا.

وَكَذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ جِدًّا مِنْ الْقُرْآنِ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ النساء (١٣١).

وَكَذَلِكَ .... (٢٣)

وَقَالَ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود (٨٨) وَقَالَ ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ الزمر (٥٤) وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ البقرة (١٣١) وَقَالَتْ بلقيس ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل (٤٤) وَقَالَ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ النساء (١٢٥) وَقَالَ ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ البقرة (١١٢) وَقَالَ ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ النور (٣١) ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ الفرقان (٧١) وَقَالَ ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ البقرة (٥٤) ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ التحريم (٨).

وَالِاسْتِغْفَارُ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ نوح (١٠) ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ هود (٣).

وَالِاسْتِرْزَاقُ وَالِاسْتِنْصَارُ، كَمَا فِي صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ، وَالْقُنُوتِ عَلَى الْأَعْدَاءِ،

---

(٢٣) بياض.

قَالَ ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ العنكبوت (١٧) وَقَالَ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ آل عمران (١٦٠).

وَالِاسْتِغَاثَةُ كَمَا قَالَ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الأنفال (٩).

وَالِاسْتِجَارَةُ كَمَا قَالَ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ المؤمنون (٨٨-٨٩).

وَالِاسْتِعَاذَةُ كَمَا قَالَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق (١) و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ الناس (١) وَقَالَ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ المؤمنون (٩٧-٩٨) وَقَالَ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ الآيَةَ النحل (٩٨).

وَتَفْوِيضُ الْأَمْرِ، كَمَا قَالَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ غافر (٤٤) وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ الْمَنَامِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ"(٢٤).

وَقَالَ ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ الأنعام (٥١) وَقَالَ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

---

(٢٤) رواه البخاري (٦٣١٣) ومسلم (٥٦-٢٧١٠) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ السجدة (٤) فَالْوَلِيُّ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَكَ كُلَّهُ، وَالشَّفِيعُ الَّذِي يَكُونُ شَافِعًا فِيهِ أَيْ عَوْنًا، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ دُونَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ يَسْتَقِلُّ وَلَا ظَهِيرٍ مُعِينٍ. وَقَالَ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ يونس (١٠٧) وَقَالَ ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فاطر (٢) وَقَالَ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الزمر (٤٣-٤٤) وَقَالَ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ سبأ (٢٢) ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ البقرة (٢٥٥) وَقَالَ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ النحل (٩٨) وَقَالَ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ النجم (٢٦).

فَالْعِبَادَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ وَمَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالْخَشْيَةِ وَالرَّجَاءِ وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، كُلُّ هَذَا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَالْعِبَادَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِأُلُوهِيَّتِهِ، وَالِاسْتِعَانَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ لَنَا غَيْرُهُ، لَا مَلِكَ وَلَا نَبِيَّ وَلَا غَيْرَهُ، بَلْ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ

الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَأَنْ تَجْعَلَ لَهُ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ(٢٥).

وَالشِّرْكُ أَنْ تَجْعَلَ لِغَيْرِهِ شِرْكًا، أَيْ نَصِيبًا فِي عِبَادَتِك وَتَوَكُّلِك وَاسْتِعَانَتِك، كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الزمر (٣) وَكَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ الأنعام (٩٤) وَكَمَا قَالَ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الزمر (٤٣) وَكَمَا قَالَ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ السجدة (٤).

وَأَصْنَافُ الْعِبَادَاتِ: الصَّلَاةُ بِأَجْزَائِهَا مُجْتَمِعَةً، وَكَذَلِكَ أَجْزَاؤُهَا الَّتِي هِيَ عِبَادَةٌ بِنَفْسِهَا مِنْ السُّجُودِ وَالرُّكُوعِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْقِيَامِ، لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتَنَفَّلَ عَلَى طَرِيقِ الْعِبَادَةِ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا لِشَمْسِ وَلَا لِقَمَرِ وَلَا لِمَلَكِ وَلَا لِنَبِيٍّ وَلَا صَالِحٍ، وَلَا لِقَبْرِ نَبِيٍّ وَلَا صَالِحٍ. هَذَا فِي جَمِيعِ مِلَلِ الْأَنْبِيَاءِ. وَقَدْ ذُكِرَ ذَلِكَ فِي شَرِيعَتِنَا حَتَّى نُهِيَ أَنْ يُتَنَفَّلَ عَلَى وَجْهِ التَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا أَنْ يَسْجُدَ لَهُ، وَقَالَ: "**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ؛ لَأَمَرْتُ الزَّوْجَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا**"(٢٦)

---

(٢٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: "**أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**.." الحديث رواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (١٤١-٨٦).

(٢٦) رواه الإمام أحمد (١٢٦١٤) عن أنس بن مالك ﷺ. ورواه أبو داود (٢١٤٠) عن قيس بن سعد ﷺ. ورواه الترمذي (١١٥٩) عن أبي هريرة ﷺ.

وَنَهَى عَنْ الِانْحِنَاءِ فِي التَّحِيَّةِ[٢٧]، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَقُومُوا خَلْفَهُ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ قَاعِدٌ[٢٨].

وَكَذَلِكَ الزَّكَاةُ الْعَامَّةُ مِنْ الصَّدَقَاتِ كُلِّهَا وَالْخَاصَّةُ، لَا يُتَصَدَّقُ إِلَّا لِلَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ الليل (١٩-٢٠) وَقَالَ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ الإنسان (٩) وَقَالَ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ البقرة (٢٦٥) وَقَالَ ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ الروم (٣٩) فَلَا يَجُوزُ فِعْلُ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الدِّينِ لَا لِمَلَكٍ وَلَا لِشَمْسٍ وَلَا لِقَمَرٍ وَلَا لِنَبِيٍّ وَلَا لِصَالِحٍ، كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ السُّؤَّالِ وَالْمُعَظِّمِينَ كَرَامَةً لِفُلَانٍ وَفُلَانٍ، يُقْسِمُونَ بِأَشْيَاءَ، إمَّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَّا مِنْ الصَّحَابَةِ وَإِمَّا مِنْ الصَّالِحِينَ، كَمَا يُقَالُ: بَكْرٌ وَعَلِيٌّ وَنُورُ الدِّينِ أَرْسِلَانِ، وَالشَّيْخُ عَدِيٌّ وَالشَّيْخُ جَالِيدُ[٢٩].

---

(٢٧) روى الإمام أحمد (١٣٠٤٤) بسنده: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَدُنَا يَلْقَى صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا" قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: "لَا" قَالَ: فَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: "نَعَمْ؛ إِنْ شَاءَ" ورواه الترمذي (٢٧٢٨) وابن ماجه (٣٧٠٢).

(٢٨) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ يَعُودُونَهُ فِي مَرَضِهِ، فَصَلَّى بِهِمْ جَالِسًا، فَجَعَلُوا يُصَلُّونَ قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْهِمِ اجْلِسُوا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: "إِنَّ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِنْ صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا" رواه البخاري (٥٦٥٨) ومسلم (٨٢-٤١٢).

وفي رواية أبي هريرة ﷺ: "وَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا. وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلَّوْا قُعُودًا، أَجْمَعُونَ" رواه مسلم (٨٩-٤١٧).

(٢٩) هؤلاء أشخاص معظّمون عند أقوامهم، فبعضهم من شيوخ الطرق أو ممن اتخذتهم الطرق شيوخاً،

وَكَذَلِكَ الْحَجُّ لَا يَحُجُّ إِلَّا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَلَا يُطَافُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُحْلَقُ الرَّأْسُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُوقَفُ إِلَّا بِفِنَائِهِ، لَا يُفْعَلُ ذَلِكَ بِنَبِيٍّ، وَلَا صَالِحٍ، وَلَا بِقَبْرِ نَبِيٍّ؛ وَلَا صَالِحٍ، وَلَا بِوَثَنٍ.

وَكَذَلِكَ الصِّيَامُ لَا يُصَامُ عِبَادَةً إِلَّا لِلَّهِ، فَلَا يُصَامُ لِأَجْلِ الْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَا لِقُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَهَذَا كُلُّهُ تَفْصِيلُ الشَّهَادَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَصْلُ الدِّينِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَشَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَالْإِلَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ إِنْ يُؤَلِّهَهُ الْعِبَادُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ حُبُّهُ وَخَوْفُهُ[٣٠]، فَمَا كَانَ مِنْ تَوَابِعِ الْأُلُوهِيَّةِ فَهُوَ حَقٌّ مَحْضٌ لِلَّهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أُمُورِ الرِّسَالَةِ فَهُوَ حَقُّ الرَّسُولِ.

وَلَمَّا كَانَ أَصْلُ الدِّينِ الشَّهَادَتَيْنِ، كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الشُّهَدَاءَ، وَلَهَا وَصْفُ الشَّهَادَةِ. وَالْقِسِّيسُونَ لَهُمُ الْعِبَادَةُ بِلَا شَهَادَةٍ[٣١]، وَلِهَذَا قَالُوا ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران (٥٣) وَلِهَذَا كَانَ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى أَنَّ الشَّهَادَتَيْنِ أَوَّلُ وَاجِبَاتِ الدِّينِ، كَمَا عَلَيْهِ خُلَّصُ أَهْلِ

وبعضهم من لهم جاه عند أقوامهم فعظّموهم من دون الله عز وجل، أو أعطوهم من الخصائص والتعظيم ما لا يجوز إلا لله.

(٣٠) هاتان من أركان العبادة: المحبة لله، والخوف من الله. ولم يذكر الثالث وهو: الرجاء. ولعله ضمّن الحب معنى الرجاء وهو الغالب.

(٣١) لأن القسيسين عبدوا الله على جهل ولم يعبدوه بالاتباع، والعبادة لا تتم إلا بالإخلاص والاتباع، لذا فقد يتوافر عند كثير من القسيسين والرهبان الإخلاص دون الاتباع، ولم تتوافر عندهم صفة الشهادة التي خصّت بها هذه الأمة؛ فهذه الأمة بحمد الله جمعت بين الأمرين: الإخلاص والاتباع.

السُّنَّةِ.

وَذَكَرَهُ مَنْصُورٌ السَّمْعَانِي وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ وَغَيْرُهُمَا، وَجَعَلَهُ أَصْلَ الشِّرْكِ، وَغَيَّرُوا بِذَلِكَ مِلَّةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الدِّينِ، كَمَا فَعَلَهُ قُدَمَاءُ الْمُتَفَلْسِفَةِ الَّذِينَ شَرَعُوا مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ.

وَمِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ: الْخُرُوجُ عَنْ الشَّرِيعَةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا مُحَمَّدًا ﷺ إلَى الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ الَّذِي فِيهِ مُشَابَهَةُ الصَّابِئِينَ أَوْ النَّصَارَى أَوْ الْيَهُودِ. وَهُوَ الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ الْمُشَابِهُ لِقِيَاسِ الَّذِينَ قَالُوا ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ البقرة (٢٧٥) فَيُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا السَّمَاعَ جِنْسًا وَاحِدًا، وَالْمِلَّةَ جِنْسًا وَاحِدًا، وَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ مَشْرُوعِهِ وَمُبْتَدِعِهِ، وَلَا بَيْنَ الْمَأْمُورِ بِهِ وَالْمَنْهِيِّ عَنْهُ.

فَالسَّمَاعُ الشَّرْعِيُّ الدِّينِيُّ سَمَاعُ كِتَابِ اللَّهِ، وَتَزْيِينُ الصَّوْتِ بِهِ وَتَحْبِيرُهُ، كَمَا قَالَ ﷺ: "**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**"(٣٢) وَقَالَ أَبُو مُوسَى: **لَوْ عَلِمْتُ أَنَّك تَسْتَمِعُ لَحَبَّرْتُهُ لَك تَحْبِيرًا**(٣٣). وَالصُّوَرُ وَالْأَزْوَاجُ وَالسَّرَارِيُّ الَّتِي أَبَاحَهَا اللَّهُ

---

(٣٢) أخرجه البخاري معلقًا قبل حديث (٧٥٤٤)، وأخرجه موصولاً الإمام أحمد (١٨٥١٧) وأبو داود (١٤٦٨) والنسائي (١٠١٥) وابن ماجه (١٣٤٢) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَبِي مُوسَى ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَقَالَ: "**لَقَدْ أُعْطِيَ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**" فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: **لَوْ كُنْتَ أَعْلَمْتَنِي لَحَبَّرْتُ ذَلِكَ تَحْبِيرًا**. أخرجه عبد الرزاق (٤١٧٨) والنسائي في الكبرى (٨٠٠٤) والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٦٢) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٥٣٢). وأصله عند البخاري في الأدب المفرد (٨٠٥، ١٠٨٧) ومسلم (٢٣٥-٧٩٣) من حديث بريدة بن الحصيب، دون زيادة: **لو كنت أعلمتني لحبرت ذلك تحبيرًا**. وكذلك من حديث أبي موسى الأشعري عند البخاري (٥٠٤٨) ومسلم (٢٣٦-٧٩٣).

تَعَالَى[٣٤].

وَالْعِبَادَةُ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ﴾ النور (٣٦-٣٧) وَهَذَا الْمَعْنَى يُقَرِّرُ قَاعِدَةَ اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، مُخَالَفَةَ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ. وَيَنْهَى أَنْ يُشَبَّهَ الْأَمْرُ الدِّينِيُّ الشَّرْعِيُّ بِالطَّبِيعِيِّ الْبِدْعِيِّ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ، كَالصَّوْتِ الْحَسَنِ لَيْسَ هُوَ وَحْدَهُ مَشْرُوعًا، حَتَّى يَنْضَمَّ إِلَيْهِ الْقَدْرُ الْمُمَيَّزُ، كَحُرُوفِ الْقُرْآنِ، فَيَصِيرُ الْمَجْمُوعُ مِنَ الْمُشْتَرَكِ وَالْمُمَيَّزِ هُوَ الدِّينُ النَّافِعُ[٣٥].

فَصْلٌ:

فِي أَلَّا يَسْأَلَ الْعَبْدُ إِلَّا اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ سورة الشرح (٧-٨) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ

---

(٣٤) الصوفية يخلطون بين المشروع والممنوع، حينما أباح الله للناس الاستمتاع بالأزواج والسراري -وهم: الإماء من النساء التي يمتلكهن الرجال بالرق- جعلوا هذا ذريعة إلى التمتع بالأمور البدعية، وتوسعوا في جانب التمتع، بدون ضابط شرعي، وجعلوه عبادة، وصاروا يستسيغون لأنفسهم النظر إلى الصور المحرمة، إلى النساء والمردان وغير ذلك، ويقولون: هذا عبادة؛ لأن هذا من خلق الله، والنظر إلى خلق الله عبادة، وهكذا لبّس عليهم الشيطان. وهذا ما أراد المصنف الإشارة إليه.

(٣٥) (المميز) هنا هو كلام الله عز وجل الذي يستحق أن يتغنى به، وأن يُسمع سماعاً تتوافر فيه الشروط والضوابط الشرعية. أما التعبد بالسماعات الأخرى بما يشبه التعبد بالقرآن، فلا شك أنه من مناهج أهل البدع التي ضلوا بها عن الحق. نسأل الله العافية.

اللَّهَ. وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"[٣٦] وَفِي التِّرْمِذِيِّ: "لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا؛ حَتَّى شِسْعُ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ"[٣٧] وَفِي الصَّحِيحِ، أَنَّهُ قَالَ لِعَدِيِّ بْنِ مَالِكٍ[٣٨]، وَالرَّهْطِ الَّذِينَ بَايَعَهُمْ مَعَهُ: "لَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا، فَإِنَّ سَوْطَ أَحَدِهِمْ يَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ: فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِي إِيَّاهُ"[٣٩] وَفِي الصَّحِيحِ، فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ: "هُمْ الَّذِينَ لَا يسترقون، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ"[٤٠] وَالِاسْتِرْقَاءُ طَلَبُ الرُّقْيَةِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ السُّؤَالِ. وَأَحَادِيثُ النَّهْيِ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ الْأَمْوَالَ كَثِيرَةٌ، كَقَوْلِهِ: "لَا تَحِلُّ الْمَسْأَلَةُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ"[٤١] وَقَوْلِهِ: "لَأَنْ

---

(٣٦) رواه الإمام أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦).

(٣٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١١١٨) عن أبي هريرة ﷺ، وقال: **إسناده غير قوي، وقد مضى ما هو أقوى منه، وروي عن عائشة رضي الله عنها موقوفا**. ورواه الترمذي (٣٦٠٤). دون لفظ "فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ" عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣٨) في صحيح مسلم: عوف بن مالك ﷺ.

(٣٩) رواه مسلم (١٠٨-١٠٤٣) بسنده عن عوف لن مالك، بلفظ "وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا" **فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ، يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ. فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ.**

(٤٠) رواه البخاري (٦٥٤١) عن ابن عباس، ورواه في ومواضع أخرى، ومسلم (٣٧٢-٢١٨) عن عمران بن حصين ﷺ.

(٤١) رواه مسلم (١٠٩-١٠٤٤) بسنده عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: "أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ. فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا" قَالَ: ثُمَّ قَالَ: "يَا قَبِيصَةُ! إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ. وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوَ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-

يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ" الْحَدِيثَ(٤٢). وَقَوْلِهِ: "لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِهِمْ"(٤٣) وَقَوْلِهِ: "مَنْ سَأَلَ النَّاسَ؛ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ"(٤٤) وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَقَوْلِهِ: "مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ: لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ" الْحَدِيثَ(٤٥).

فَأَمَّا سُؤَالُ مَا يَسُوغُ مِثْلُهُ مِنْ الْعِلْمِ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، لِأَنَّ الْمُخْبِرَ لَا يُنْقِصُ الْجَوَابُ مِنْ عِلْمِهِ، بَلْ يَزْدَادُ بِالْجَوَابِ، وَالسَّائِلُ مُحْتَاجٌ إلَى ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: "هَلَّا سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا؟ فَإِنَّ شِفَاءَ الْعَيِّ السُّؤَالُ"(٤٦) وَلَكِنْ مِنْ

وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ :لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ. فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ. حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوَ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ- فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ، يَا قَبِيصَةُ، سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا".

(٤٢) روى البخاري (١٤٧٠) ومسلم (١٠٦-١٠٤٢) كل بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ".

(٤٣) روى البخاري (١٤٧٤) ومسلم (١٠٣-١٠٤٠) كل بسنده عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ".

(٤٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: "خَمْسُونَ دِرْهَمًا، أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ" رواه الإمام أحمد (٤٢٠٧) وأبو داود (١٦٢٦) والترمذي (٦٥٠) والنسائي (٢٥٩٢) وابن ماجه (١٨٤٠).

(٤٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ؛ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ" رواه الإمام أحمد (٣٨٦٩) وأبو داود (١٦٤٥) والترمذي (٢٣٢٦). قال الترمذي: **هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ**.

(٤٦) رواه الإمام أحمد (٣٠٥٦) وأبو داود (٣٣٧) وابن ماجه (٥٧٢). عن ابن عباس ﷺ.

الْمَسَائِلِ مَا يُنْهَى عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ الْآيَةَ[٤٧].

وَكَنَهْيِهِ عَنْ أُغْلُوطَاتِ الْمَسَائِلِ[٤٨] وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا سُؤَالُهُ لِغَيْرِهِ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ: "لَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ"[٤٩] وَقَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا. ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ؛ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْعَبْدَ. فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٥٠].

---

(٤٧) الآية في سورة المائدة، رقم الآية (١٠١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

(٤٨) روى الإمام أحمد (٢٣٦٨٧) بسنده عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْغُلُوطَاتِ. قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: الْغُلُوطَاتُ: شِدَادُ الْمَسَائِلِ وَصِعَابُهَا. ورواه أبو داود (٣٦٥٦) عن معاوية ﷺ، دون ذكر قول الأوزاعي. حسَّنه السيوطي في الجامع الصغير (٩٣٠٩).

قال الخطابي في غريب الحديث (٣٥٤/١): الغَلُوطَاتُ: جَمْع غَلُوطَةٍ، وَهِيَ المسْأَلَةُ التي يعيا بها المسؤول فَيغْلَطُ فيها كرِه ﷺ أن يُعْتَرضَ بها العلماء فيُغَالَطُوا ليُسْتَزَلُّوا ويُسْتَسْقَط رأيُهُم فيها. أ.هـ

الأُغلوطات: جمع أُغْلُوطة، وهي ما يُغلَط به من المسائل الملتبسة، وإنما نهى عنها لعدم نفعها في الدِّين.

وقيل: الأُغلُوطة، هي المسألة التي يُوقِع السائلُ بها المسؤولَ عنها في الغلط؛ لغموضه فيها، فيَمتحنه ليظهر فضل نفسه، وهذا مَنهيٌّ عنه؛ لأن فيه تحقيرًا وإذلالًا. انظر: كتاب شرح المصابيح لابن الملك (٢١٨/١).

(٤٩) عَنْ عُمَرَ، أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَقَالَ: "أَيْ أُخَيَّ، أَشْرِكْنَا فِي دُعَائِكَ، وَلَا تَنْسَنَا" رواه الإمام أحمد (١٩٥) وأبو داود (١٤٩٨) والترمذي (٣٥٦٢) وابن ماجه (٢٨٩٤). قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٥٠) رواه مسلم (١١-٣٨٤) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ.

وَقَدْ يُقَالُ فِي هَذَا: هُوَ طَلَبَ مِنْ الْأُمَّةِ الدُّعَاءَ لَهُ، لِأَنَّهُمْ إذَا دَعَوْا لَهُ حَصَلَ لَهُمْ مِنْ الْأَجْرِ أَكْثَرُ مِمَّا لَوْ كَانَ الدُّعَاءُ لِأَنْفُسِهِمْ، كَمَا قَالَ لِلَّذِي قَالَ: أَجْعَلُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: "**إذًا يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ**"(٥١) فَطَلَبُهُ مِنْهُمْ الدُّعَاءَ لَهُ لِمَصْلَحَتِهِمْ كَسَائِرِ أَمْرِهِ إيَّاهُمْ بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَذَلِكَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْمَصْلَحَةِ لَهُمْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "**مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِدَعْوَةٍ: إلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا، كُلَّمَا دَعَا دَعْوَةً قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَك مِثْلُهُ**"(٥٢).

فَصْلٌ:

الْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَى الشَّرْعِ وَالِاتِّبَاعِ؛ لَا عَلَى الْهَوَى وَالِابْتِدَاعِ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَالثَّانِي: أَنْ نَعْبُدَهُ بِمَا شَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ لَا نَعْبُدَهُ بِالْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**﴾ سورة الجاثية (١٨-١٩)

---

(٥١) ورواه الإمام أحمد (٢١٢٤٢٤) عن أُبَي بن كعب ﷺ. حسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٠٣/٢) عن حبَّان بن منقذ ﷺ.

(٥٢) رواه مسلم (٨٨-٢٧٣٣) عن أبي الدرداء ﷺ.

الْآيَةَ. وَقَالَ تَعَالَى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ سورة الشورى (٢١) فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، لَا يَعْبُدُهُ بِالْأُمُورِ الْمُبْتَدَعَةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ العرباض بْنِ سَارِيَةَ[٥٣]. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَفِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: "**خَيْرُ الْكَلَامِ؛ كَلَامُ اللَّهِ. وَخَيْرُ الْهَدْيِ؛ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**"[٥٤].

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَا يُصَلِّي إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَصُومُ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَحُجُّ إِلَّا بَيْتَ اللَّهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا يَنْذِرُ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا؛ فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**"[٥٥] وَفِي السُّنَنِ: "**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**"[٥٦] وَعَنِ ابْنِ

---

(٥٣) عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ؛ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: "**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**" وفي رواية "**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**" رواه الإمام أحمد (١٧١٤٤) وأبي داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦).

(٥٤) رواه مسلم (٤٣-٨٦٧) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٥٥) رواه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (٣-١٦٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥٦) رواه الإمام أحمد (٤٩٠٤) وأبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥). عن ابن عمر رضي الله عنهما.

مَسْعُودٍ: **لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا**(٥٧). لِأَنَّ الْحَلِفَ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ، وَالْحَلِفَ بِاللَّهِ تَوْحِيدٌ. وَتَوْحِيدٌ مَعَهُ كَذِبٌ خَيْرٌ مِنْ شِرْكٍ مَعَهُ صِدْقٌ، وَلِهَذَا كَانَ غَايَةَ الْكَذِبِ أَنْ يَعْدِلَ بِالشِّرْكِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ؛ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا**"(٥٨) وَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ سورة الحج (٣١) وَإِذَا كَانَ الْحَالِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ قَدْ أَشْرَكَ، فَكَيْفَ النَّاذِرُ لِغَيْرِ اللَّهِ؟

وَالنَّذْرُ أَعْظَمُ مِنَ الْحَلِفِ، وَلِهَذَا لَوْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَلَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ. مِثْلُ أَنْ يَنْذِرَ لِغَيْرِ اللَّهِ صَلَاةً أَوْ صَوْمًا أَوْ حَجًّا أَوْ عُمْرَةً أَوْ صَدَقَةً. وَلَوْ حَلَفَ لَيَفْعَلَنَّ شَيْئًا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ، قِيلَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُكَفِّرَ عَنِ الْيَمِينِ، وَلَا يَفْعَلَ الْمَحْلُوفَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ؛ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ**"(٥٩) وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ وَقَالَ:

---

(٥٧) ذكره ابن أبي شيبة (١٢٢٨١) وعبدالرزاق (١٥٩٢٩) والطبراني في الكبير (٨٩٠٢). وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦٢).

(٥٨) رواه الإمام أحمد (١٧٦٠٣) وأبو داود (٣٥٩٩) وابن ماجه (٢٣٧٢) عن خريم بن فاتك. ورواه الترمذي (٢٢٩٩) عن أيمن بن خريم. وقال: وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ... وَلَا نَعْرِفُ لِأَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ سَمَاعًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

(٥٩) رواه البخاري (٦٦٢٢) ومسلم (١٣-١٦٥٠) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه.

"**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ**"[٦٠] فَإِذَا كَانَ النَّذْرُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، فَكَيْفَ بِالنَّذْرِ لِلْمَخْلُوقِ! وَلَكِنَّ النَّذْرَ لِلَّهِ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ إِذَا كَانَ فِي طَاعَةٍ؛ وَإِذَا كَانَ مَعْصِيَةً لَمْ يَجُزْ الْوَفَاءُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا، هَلْ فِيهِ بَدَلٌ أَوْ كَفَّارَةُ يَمِينٍ أَمْ لَا؟ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ؛ فَلْيُطِعْهُ. وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ؛ فَلَا يَعْصِهِ**"[٦١] فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّذْرَ لِلْمَخْلُوقِينَ يَجْلِبُ لَهُ مَنْفَعَةً أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَضَرَّةً؛ فَهُوَ مِنْ الضَّالِّينَ، كَالَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ عِبَادَةَ الْمَخْلُوقِينَ تَجْلِبُ لَهُمْ مَنْفَعَةً أَوْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ مَضَرَّةً. وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قَدْ تَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيَاطِينُ، وَقَدْ تُخَاطِبُهُمْ بِكَلَامٍ، وَقَدْ تَحْمِلُ أَحَدَهُمْ فِي الْهَوَاءِ، وَقَدْ تُخْبِرُهُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ، وَقَدْ تَأْتِيهِ بِنَفَقَةٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ كِسْوَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا جَرَى مِثْلُ ذَلِكَ لِعُبَّادِ الْأَصْنَامِ مِنْ الْعَرَبِ وَغَيْرِ الْعَرَبِ[٦٢]، وَهَذَا كَثِيرٌ مَوْجُودٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَغَيْرِ هَذَا الزَّمَانِ، لِلضَّالِّينَ الْمُبْتَدِعِينَ الْمُخَالِفِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِمَّا بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَإِمَّا بِعِبَادَةٍ لَمْ يَشْرَعْهَا اللَّهُ.

وَهَؤُلَاءِ إِذَا أَظْهَرَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا خَارِقًا لِلْعَادَةِ؛ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ أَنْ يَكُونَ حَالًا شَيْطَانِيًّا أَوْ حَالًا بُهْتَانِيًّا، فَخَوَاصُّهُمْ تَقْتَرِنُ بِهِمْ الشَّيَاطِينُ، كَمَا يَقَعُ لِبَعْضِ

---

(٦٠) رواه البخاري (٦٦٠٨) ومسلم (٤-١٦٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦١) رواه البخاري (٦٦٩٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٦٢) ذكر شيخ الإسلام رحمه الله بعض القصص والوقائع. انظر: كتاب الجواب الصحيح. وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

الْعُقَلَاءِ مِنْهُمْ، وَقَدْ يَحْصُلُ ذَلِكَ لِغَيْرِ هَؤُلَاءِ؛ لَكِنْ لَا تَقْتَرِنُ بِهِمْ الشَّيَاطِينُ إلَّا مَعَ نَوْعٍ مِنْ الْبِدْعَةِ إمَّا كُفْرٍ وَإِمَّا فِسْقٍ وَإِمَّا جَهْلٍ بِالشَّرْعِ.

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَصْدُهُ إغْوَاءٌ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ، فَإِنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهُمْ كُفَّارًا جَعَلَهُمْ كُفَّارًا، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ إلَّا عَلَى جَعْلِهِمْ فُسَّاقًا أَوْ عُصَاةً. وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ إلَّا عَلَى نَقْصِ عَمَلِهِمْ وَدِينِهِمْ بِبِدْعَةِ يَرْتَكِبُونَهَا يُخَالِفُونَ بِهَا الشَّرِيعَةَ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ ﷺ فَيَنْتَفِعُ مِنْهُمْ بِذَلِكَ.

وَلِهَذَا قَالَ الْأَئِمَّةُ: لَوْ رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ؛ أَوْ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ؛ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا وُقُوفَهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. وَلِهَذَا يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، وَتَكُونُ الشَّيَاطِينُ هِيَ الَّتِي تَحْمِلُهُ؛ لَا يَكُونُ مِنْ كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَحْمِلُهُ الشَّيْطَانُ إلَى عَرَفَاتٍ فَيَقِفُ مَعَ النَّاسِ، ثُمَّ يَحْمِلُهُ فَيَرُدُّهُ إلَى مَدِينَتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. وَيَظُنُّ هَذَا الْجَاهِلُ أَنَّ هَذَا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْ هَذَا. وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا طَاعَةٌ وَقُرْبَةٌ إلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، لِأَنَّ الْحَجَّ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ الْإِحْرَامِ وَالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَنْ يَطُوفَ بَعْدَ ذَلِكَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ، فَإِنَّهُ رُكْنٌ لَا يَتِمُّ الْحَجُّ إلَّا بِهِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ بمزدلفة وَيَرْمِيَ الْجِمَارَ وَيَطُوفَ لِلْوَدَاعِ، وَعَلَيْهِ اجْتِنَابُ الْمَحْظُورَاتِ، وَالْإِحْرَامُ مِنْ الْمِيقَاتِ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَجِّ.

وَهَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ الَّذِينَ يُضِلُّهُمْ الشَّيْطَانُ، يَحْمِلُهُمْ فِي الْهَوَاءِ، يَحْمِلُ أَحَدَهُمْ

بِثِيَابِهِ فَيَقِفُ بِعَرَفَةَ وَيَرْجِعُ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ. حَتَّى يُرَى فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ بِبَلَدِهِ وَيُرَى بِعَرَفَةَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَصَوَّرُ الشَّيْطَانُ بِصُورَتِهِ، وَيَقِفُ بِعَرَفَةَ، فَيَرَاهُ مَنْ يَعْرِفُهُ وَاقِفًا، فَيَظُنُّ أَنَّهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَقَفَ بِعَرَفَةَ. فَإِذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ أَنَا لَمْ أَذْهَبْ الْعَامَ إلَى عَرَفَةَ، ظَنَّ أَنَّهُ مَلَكٌ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ ذَلِكَ الشَّيْخِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ تَمَثَّلَ عَلَى صُورَتِهِ.

وَمِثْلُ هَذَا وَأَمْثَالِهِ يَقَعُ كَثِيرًا؛ وَهِيَ أَحْوَالٌ شَيْطَانِيَّةٌ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ سورة الزخرف (٣٦) وَذِكْرُ الرَّحْمَنِ هُوَ الذِّكْرُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر (٩) وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ إلَى قَوْلِهِ ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ سورة طه (١٢٣-١٢٦) وَنِسْيَانُهَا هُوَ تَرْكُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ بِهَا، وَإِنْ حَفِظَ حُرُوفَهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ؛ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ**[٦٣]. وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ. فَمَنْ اتَّبَعَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ هَدَاهُ اللَّهُ وَأَسْعَدَهُ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ ضَلَّ وَشَقِيَ؛ وَأَضَلَّهُ الشَّيْطَانُ وَأَشْقَاهُ.

فَالْأَحْوَالُ الرَّحْمَانِيَّةُ وَكَرَامَاتُ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، يَكُونُ سَبَبُهُ الْإِيمَانَ، فَإِنَّ هَذِهِ

---

(٦٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٧٨١) وذكره الطبري في تفسيره (٣٨٩/١٨) والبغوي في معالم التنزيل (٣٠٠/٥).

حَالُ أَوْلِيَائِهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ سورة يونس (٦٢-٦٣) وَتَكُونُ نِعْمَةً لِلَّهِ عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، فَتَكُونُ الْحُجَّةَ فِي الدِّينِ وَالْحَاجَةَ فِي الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ، مِثْلَمَا كَانَتْ مُعْجِزَاتُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَتْ الْحُجَّةَ فِي الدِّينِ وَالْحَاجَةَ لِلْمُسْلِمِينَ، مِثْلُ الْبَرَكَةِ الَّتِي تَحْصُلُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، كَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ(٦٤)، وَمِثْلُ نُزُولِ الْمَطَرِ بِالِاسْتِسْقَاءِ(٦٥)، وَمِثْلُ قَهْرِ الْكُفَّارِ، وَشِفَاءِ الْمَرِيضِ بِالدُّعَاءِ(٦٦)، وَمِثْلُ الْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ وَالنَّافِعَةِ بِمَا غَابَ عَنْ الْحَاضِرِينَ، وَأَخْبَارُ الْأَنْبِيَاءِ لَا تَكْذِبُ قَطُّ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَحْوَالِ الشَّيْطَانِيَّةِ فَهُمْ مِنْ جِنْسِ الْكُهَّانِ، يَكْذِبُونَ تَارَةً

---

(٦٤) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثَمِائَةٍ أَوْ زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ. رواه البخاري (٣٥٧٢) ومسلم (٦-٢٢٧٩).

(٦٥) روى البخاري (١٠١٤) بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**" قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ. قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا .. إلخ.

(٦٦) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ: "**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**" رواه البخاري (٥٦٧٥) ومسلم (٤٨-٢١٩١).

وَيَصْدُقُونَ أُخْرَى، وَلَا بُدَّ فِي أَعْمَالِهِمْ مِنْ مُخَالَفَةٍ لِلْأَمْرِ، قَالَ تَعَالَى ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ سورة الشعراء (٢٢١-٢٢٢) الْآيَتَيْنِ. وَلِهَذَا يُوجَدُ الْوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ مُلَابِسًا الْخَبَائِثَ مِنْ النَّجَاسَاتِ وَالْأَقْذَارِ الَّتِي تُحِبُّهَا الشَّيَاطِينُ، وَمُرْتَكِبًا لِلْفَوَاحِشِ؛ أَوْ ظَالِمًا لِلنَّاسِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَاَللَّهُ تَعَالَى قَدْ حَرَّمَ ﴿الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ الْآيَةَ سورة الأعراف (٣٣).

وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رِضَاهُ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورِ. وَهَذِهِ جُمْلَةٌ لَهَا بَسْطٌ طَوِيلٌ، لَا يَتَّسِعُ لَهُ هَذَا الْمَكَانُ.

وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.